إضراب الأسرى الفلسطينيين عن الطعام: خطوة أخرى في الطريق نحو الحرية والكرامة

ريما عبدالله سليم

ملخص

تسلّط هذه الورقة الضوء على قرار هيئة شؤون الاسرى والمحررين الذي صدر في 25 آذار / مارس 2022، حول المعركة الأخيرة التي يخوضها الأسرى داخل سجون الاحتلال، جراء الممارسات التعسفية التي تُمارس بحقهم. تطرقت الورقة إلى لمحة تاريخية عن بداية نضال الأسرى في سجون الاحتلال، وطرح عدة نماذج من مختلف السجون في ذلك الوقت، وايضاً عن دور هذه المقاومة في تاريخ النضال الفلسطيني، والسعي لتحقيق الشعار الذي اتخذوه؛ ألا وهو الحرية والكرامة، علاوة على ذلك، يسعون لتحقيق المتطلبات الحياتية لهم. كما ناقشت الورقة التجاهل الإسرائيلي الواضح لقضية الأسرى وإضرابهم عن الطعام، وإهمال الحالات الصحية التي يتعرض لها الأسرى المضربون مع ذكر أمثلة على ذلك.

مقدمة

أعلنت هيئة شؤون الأسرى والمحررين الفلسطينيين في 25 آذار/ مارس 2022، بأن الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية قرروا الدخول في إضراب مفتوح عن الطعام[1]. وكانت الهيئة قد حذرت سابقًا بأن الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية كافة ينوون الدخول في إضرابٍ مفتوحٍ عن الطعام، احتجاجًا على سياسات إدارة سجون الاحتلال التعسّفية. يَعتبر الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية الإضراب عن الطعام أداة من أدوات الضغط على إسرائيل، لتحقيق مكاسب سياسية، وأيضًا من أجل المطالبة بتحسين بعض ظروف معيشتهم اليومية في السجن. وقد ارتفع احتجاج الأسرى الفلسطينيين في أعقاب التضييقات التي تعرضوا لها في أعقاب الإجراءات الإسرائيلية المتصاعدة بحقهم، بعد تحرير ستة أسرى فلسطينيين لأنفسهم من سجن جلبوع الإسرائيلي، قبل أن تعود سلطات الاحتلال للقبض عليهم من جديد، بعد أقل عشرة أيام على تحررهم، ما أدى إلى ازدياد حالة عدم الاستقرار في السجون، فضلًا عن ازدياد ظروف السيطرة والرقابة عليهم.

الإضراب الأخير عن الطعام: فصل من فصول نضال طويل ضد السجان الإسرائيلي

قاد الأسرى الفلسطينيون عملية النضال السلمية داخل سجون الاحتلال منذ بدء الاحتلال الإسرائيلي في عام 1967، إذ كانت أول مرة لجأ الأسرى إلى الإضراب عن الطعام في العام 1968، وذلك بحسب

[1] قيس أبو سمرة، " الأسرى يستعدون لإضراب مفتوح عن الطعام في 25مارس"، (هيئة فلسطينية)، 13-3-2022، تاريخ الدخول للموقع 2022/4/5، https://bit.ly/3lWGGE7.

مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان. منذ ذلك الحين، قام الأسرى الفلسطينيون بالعديد من الإضرابات عن الطعام، تجاوز بعضها 200 يومٍ، من أبرزها إضراب سجن الرملة في شباط/ فبراير 1969، الذي استمر 11 يومًا، وكان سببه المطالبة بتحسين وزيادة كمية الطعام، وإدخال القرطاسية، ورفضهم مناداة السجان الإسرائيلي بكلمة "سيدي". وكذلك الإضراب المفتوح عن الطعام في كانون الأول/ ديسمبر 1976، الذي انطلق من سجن عسقلان، بغرض تحسين شروط الحياة الاعتقالية للأسرى الفلسطينيين، والذي امتد نحو 45 يومًا. وفي السنوات الأخيرة، اعتمد الأسرى على سلاح الإضراب عن الطعام، ففي نيسان/ أبريل 2014 بدأ حوالي 120 معتقل فلسطيني إداري في سجون الاحتلال إضرابهم المفتوح عن الطعام، احتجاجًا على استمرار اعتقالهم الإداري دون تهمة أو محاكمة، مطالبين بإلغاء سياسة الاعتقال الإداري. وقد انضم فيما بعد عشراتٌ من الأسرى الإداريين والمحكومين والموقوفين كخطوة إسناد ودعم لمعركتهم، حتى تجاوز عدد المضربين عن الطعام نحو 200 أسيرٍ فلسطيني.

الإضراب عن الطعام: معركة نحو الحرية والكرامة

خطوة الإضراب عن الطعام التي يقوم به الأسرى الفلسطينيون جزء رئيس من العمل السياسي الذي تقوم به التنظيمات والفصائل الفلسطينية، فهم أصحاب قرار سياسي، ولهم دور كبير في سير العملية النضالية في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي[1]. ثمة العديد من المطالبات التي يقدمها الأسرى للتحرر من السجون، برز ذلك تحديدًا في الإضرابات عن الطعام التي خاضهم أسرى معتقلون إداريًا في سجون الاحتلال. هذا النوع من الإضرابات يعزز دور الأسرى في السجون من ناحية، ويفرض سلطتهم وهيمنتهم على السجن والسجان الإسرائيلي من ناحية أخرى. لذلك، أصبح الإضراب عن الطعام أداة ذاتية للنضال ضد الاحتلال الإسرائيلي، يستطيع الأسرى من خلاله تحقيق مطالبهم كافة. إن تراكم هذه المحاولات يفضي إلى تحويل السجون إلى مدرسة ثورية فلسطينية ضد المستعمِر الإسرائيلي، تساهم في القول بأن الأسرى يقومون بفعل مضاد لسلوكيات السجان الإسرائيلي، يحوّل السجن من مكان لقتل وتعذيب الأسرى، إلى مؤسسة فلسطينية مقاومة للمستعمر الإسرائيلي.

علاوة على النضال السياسي، يسعى الأسرى إلى تحقيق عدد من المطالب الحياتية اليومية، ففضلًا عن تحسين ظروف المأكل والمشرب، ثمة متطلبات دائمة للحصول على أدوات التعليم والقرطاسية (أقلام، ودفاتر، وصحف، وغيرها). يمكن القول؛ أن ذلك يساهم في التقدم الفكري والثقافي للأسرى في سجون

[1] ناصر اللحام، "إضراب الأسرى عن الطعام قد يفكك السلطة وقد يؤدي الى حرب"، وكالة معاً، 21-3-2022، https://bit.ly/3Gzbbts.

الاحتلال، ويساندهم في مواجهة ما يتعرضون له في السجون الإسرائيلية، فهم يريدون بناء مؤسستهم الخاصة، التي من خلالها يواجهون سلطات السجون، وكل أشكال القهر الذي يتعرضون له.

في ضوء ذلك، يمكن القول بأن أهمية إضراب الأسرى عن الطعام تكمن في مسعاهم لتحقيق الشعار الذي يتخذونه، "إضراب الحرية والكرامة". فهذا الإضراب تعبير حقيقي عن السعي الفلسطيني للحرية والكرامة. مثل هذه الأداة التي يقوم بها الأسرى تساعدهم في تحقيق انتصارات كبيرة، من خلال إصرارهم الحتمي عليها. إذ نجح الأسرى في قلب هرم الاحتياجات التي تتمحور في التنفس والماء والطعام وبعض شؤون الحياة، إلى الحرية والكرامة بوصفهما أولى مقومات الحياة وأسماها. لا يستطيع أحد نزع ذلك من يد شعب كريم يناضل لتحقيق هذه المقومات والعمل من أجل تغيير الحقائق وليس القبول بها والخضوع ليها[1].

تجاهل إسرائيلي للإضراب والمضربين عن الطعام

يواجه الأسرى الفلسطينيون المضربون عن الطعام تحديات كثيرة خلال فترة إضرابهم، فهذا الصمود الأسطوري الذي عنوانه التحدي والإصرار، ليس قرارا هيّنا يتخذونه، فهذا يستنزف من صحتهم وسلامة أجسادهم[2]. من الأمثلة على ذلك، إضراب الأسير الفلسطيني كايد الفسفوس في العام 2021، الذي استمر نحو 101 يوم احتجاجًا على اعتقاله الإداري، إذ تدهورت حالته الصحية، وكذلك الأسير الفلسطيني، مقداد القواسمة، الذي تدهورت حالته الصحية بعد خوضه إضرابًا عن الطعام لمدة زادت عن 100 يوم.

بالنظر إلى الوضع الحالي، وما سبقه من تحديات تواجه الأسرى في إضرابهم عن الطعام، يظهر دائمًا تجاهل إسرائيل الواضح لقضية الأسرى وإضرابهم عن الطعام، أو غض النظر عن الحالات الصحية السيئة جدًا الذي تواجه المضربين عن الطعام، فهم مُعرّضون دومًا للموت داخل السجون بسبب الإهمال الطبي، مثل تجاهل إسرائيل لصحة الأسير المضرب عن الطعام هشام أبو هواش، الذي استمر لمدة 140 يوماً[3]، وتوجههم الدائم قبل بدء أي اضراب بالتجاهل وعدم الاكتراث له، من خلال الضرب على

[1] منقذ أبو عطوان، "مؤسسة الحياة الاعتقالية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية"، (رسالة ماجستير جامعة بيرزيت: فلسطين، 2007)، ص117_ص125.

[2] رندة حيدر، "إضراب الأسرى الفلسطينيين عن الطعام: صرخة في وجه المحتل"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 28\4\2017، https://bit.ly/3a3QvgZ.

[3] وفا وكالة الانباء والمعلومات الفلسطينية، " أقدمهم كايد الفسفوس المضرب منذ 80يوماً: سبعة أسرى يواصلون إضرابهم عن الطعام رفضاً لاعتقالهم الإداري"، (وكالة وفا)، 2\10\2021، أخر دخول للموقع: 2022/4/8، https://bit.ly/3apRvvX.

وتر الانقسامات الفلسطينية، وتغذية الأحقاد والتشكيك الدائم بهدف الإضراب والمضربين عن الطعام، فتعمل كل ما بوسعها للتضييق عليهم، وعزلهم، وممارسة الضغوط حتى على الأسرى غير المضربين.

خاتمة

يمكن القول؛ بأن الإضراب عن الطعام وسيلة من وسائل نضال الفلسطينيين ضد السجان الإسرائيلي، استعملها الفلسطينيون منذ عام 1967. و تُعتبرُ أداة الإضراب عن الطعام سلاحا بيد الأسرى، يسعون من خلاله إلى الحرية والكرامة، وأنهم استنفدوا كل سبل معالجة مطالبهم السياسية والمعيشية مع إدارة السجون، وهذا ما حصل في الإضراب الأخير الذي أعلنت عنه هيئة شؤون الأسرى مؤخرًا بإعلان الإضراب المفتوح عن الطعام، في 25 آذار/ مارس 2022، الذي لجأ إليه الأسرى للاحتجاج السياسي حول ما يعيشونه من معاناة داخل سجون الاحتلال، وأيضًا من أجل لفت أنظار العالم لمعاناتهم والوقوف بجانبهم، ومن أجل التحدي لسجانهم ومقاومة ما يتعرضون له من ذل وقهر ومعاناة.

من أجل نجاح عملية الإضراب وتحقيق الهدف الأساس، فإن الأسرى الفلسطينيين بحاجة إلى دعم سياسي، وحشد إعلامي مساند لهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي، أو من خلال الشارع الفلسطيني، لإيصال المعاناة الحقيقية التي يتعرضون لها داخل سجون الاحتلال، وأيضًا عمل تحركات شعبية مساندة لهم، فبهذا تزداد الأدوات للضغط على إسرائيل من أجل تحقيق مطالبهم، وتحسين الوضع المعيشي داخل السجون.